Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للحياة الفردية ينقفل هنا ببلوغ المختار السوسي سن الأربعين، أو بداية الكتابة عن الذات، من خلال العودة المتحققة إلى الماضي، واستنطاق فصوله ومجريات أحداثه وتقلباته. فلا يعني هذا أن المختار السوسي لا يشرئب إلى المستقبل، وإنما هو يعتبره في حكم الغيب محجوبا، وأن عليه، حسب قرار ديني واع، أن يعدل من مساره، بإصلاح ما فسد، والتوبة مما اقترف، واسترجاع ما فتر حفظه، ورد التبعات، والكف عن الشهوات... عساه يلقى «الحياة الأخرى كما يلقاها الأبرار» (ص 231)، اعتقادا منه أن دين الإسلام مبني على محاسبة النفس «على النقير والقطمير» (231).

فالسيرة الذاتية إذن محطة للمكاشفة، وهي بالمثل لوح ذكريات وسلوك ومسرى حياة، كما يمكن أن تفهم الكتابة عن الذات كشكل من أشكال محاسبة النفس والتسليم الطوعي بالجزاء الإلهي في الدارين. وأما امتيازها، كما يقول گوسدورف، فكامن في أنها تكشف لنا عن الجهد الذي يبذله كاتب ما في إعطاء معني لأسطورته الخاصة(1)

2 ـ ضمير الأنا، واستراتيجية التحقيب

أنجز المختار السوسي، من خلال الاستذكار، حصيلة افترضها لتطوره الذاتي، اعتمادا على مجموعة من الأدوار الحياتية، تأخذ بركاب بعضها وهي تؤلف المسرى العام للوجود كما نظر إليه وصاغه. وليس من المهم أن نتساءل عن الدوافع الشخصية التي حملته على ذلك كتابة، فهذه مما قرره في أدعيته وابتهالاته. لقد كان يقدم كتابه بيمينه، إذا جاز القول، طلبا للمغفرة، ولكنه توخى بالمثل صياغة مجموعة من الأحداث تكون له ولغيره، كما يقول، عبرة. وأحسب أن الحافز الأساسي كامن هنا، وأما ما يتفرع عنه فبيان له.

وقد تحقق الإنجاز السيرذاتي، فإنه مما يأخذ بالاهتمام، كما أفترض، هو الصيغة التي أعطت للكتابة عن الذات طابعها الأدبي، بحيث تبدو كما لو كانت نصا يعيد تركيب محددات الوجود الشخصي والاجتماعي والثقافي في الزمان والمكان. فكيف تم ذلك ؟

سنعمد هنا إلى إعادة تركيب حلقات الوجود الذاتي من خلال السرود المنجزة له عن طريق الكتابة، لأنه لا يجب أن يخفى هنا أن النص السيرذاتي، وقد تحول إلى قصة حياة، يحيل في آن واحد على لحظة كتابته كما على ماضي كاتبه. مثلما يمكن القول إن ضمير الأنا المتكلم يحيل بدورة على ضميرالأنا المروي.

1- Condiciones y limites de la autobiografia, op. cit. p. 17